الأحد 10/11/2013 **الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال**

أبواب الفرج

التعاون

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك وبعد:

بدأنا في سلسلة دروس بعنوان **أبواب الفرج** سائلين الله تعالى أن يعجِّل لنا بالفرج وأن يجعله محفوفاً بألطافه.

إن لله في هذه الأرض قوانين كونية وتشريعية.

القوانين الكونية: كقانون المعادن بأنها تتمدد بالحرارة، فإذا أردت للمعدن أن يتمدد فعليك تعريضه للحرارة أما أن يجلس إنسان فيقول: اللهم اجعل هذا المعدن يتمدد ويتوسل ويرجو ولا يأخذ بأسباب تَمَدُّدِ المعدن فيخشى أن يكون من المعتدين في الدعاء.

القوانين التشريعية: هي الأسباب التي إذا فعلتها حصَّلت النتائج، ومن تلك الأسباب أمور نفعلها ليكتب الله لنا بها الفرج.

يُطلب من كل أخ أو أخت وقع في ضائقة أو كرب أو شدة سواء على المستوى الفردي أو الأسري أو المجتمعي أن يفزع إلى الله تعالى قارعاً هذه الأبواب حتى يُعَجِّلَ الله تعالى لنا الفرج محفوفاً بلطفه.

سبق معنا حديث عن الباب الأول من أبواب الفرج وهو **الالتجاء إلى الله تعالى** وما من حدث جلل جرى على أيدي الأنبياء إلا وكان بابه الالتجاء إلى الله، ونحن اليوم في الباب الثاني من أبواب تفريج الكربات وهو بعنوان **التعاون**.

التعاون باب عريض من أبواب الفرج وقد قال العلماء فيه: **لكل وقت عبادة هي فيه الأحسن**.

فإذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فأفضل عبادة هي السعي إلى ذكر الله أي خطبة الجمعة.

أفضل عبادة إذا جاء رمضان هي الصيام...

أفضل عبادة في الأزمات هي تعاون الناس بين بعضهم البعض القوي مع الضعيف، والغني مع الفقير، والقادر مع العاجز، والصحيح مع المريض...

فإذا رأى الله منا هذا التعاون والتراحم والتعاضد والتكاتف والتساند فإنه سيرضى عن عباده، لكن إذا نزلت الشدة فراح الناس يتشاجرون ويتخاصمون ويتقاتلون وينهب القوي الضعيف، ويسرق الضعيف القوي فهذا مجتمع ينبغي لا يستحق أن يبقى على هذه الأرض قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2].

أ. كلمة تعاونوا على وزن تفاعلوا وهذا الوزن يحمل معنى المشاركة بإشارة واضحة أنه ينبغي على الجميع أن يتعاونوا فيما بينهم. ولا يعتذروا بسبب فقر أو ضعف؛ لأن الآية تحمل معنى المشاركة.

عندما يتصافح الرجلان أو يتقاتل الجيشان أو يتسابق اللاعبان... يكون كلاً منهما مشترك بالعمل، فعلى كل منا أن يتعاون فأنا أعين بمالي، وهو يعين بجهده، وذاك بجاهه، والآخر بقوته.

ب. في الآية واو الجماعة ﴿وَتَعَاوَنُوا﴾ .

ت. ﴿وَتَعَاوَنُوا﴾ فعل أمر وقد قال العلماء: كل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب ما لم يصرفه صارف.

فلا يعقل أن يرى أحدنا أخاه مصاباً بالمصائب ومبتلى بالبلايا ثم يجلس ليدعو بغير حراك كمثل من يدعو الله أن يمدد المعدن وهو لا يحرك ساكناً.

ث. ﴿وَتَعَاوَنُوا﴾ جملة فعلية تفيد معنى التجدد، أي قم بالمعونة وكررها مراراً فلا يكفي قيامك بالعمل لمرة ثم التوقف عنه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» [مسلم].

الفرج لغة: هو الشَقُّ بين شيئين، ومنه سميت الفرجة بين المصلين باسمها أي الفراغ بينهما.

فكأن الذي يقع في كربة يحيط به الهم حتى يصل للاختناق ثم يجيء الفرج إشارة إلى فتحة يتنفس منها الصعداء ولأجل جاء الحديث بلفظ «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ**».

سيدة تعمل مديرة لمدرسة توفي زوجها وترك لها أيتاماً وليس لها ما تعولهم به راتبها الشهري وأجار بيت تركه زوجها كانت تؤجره بخمس عشرة ألف ليرة شهرياً، فلما نزلت الأزمة جاءتها أسرة متضررة وقعت في كربة فأسكنت العائلة في البيت بأجرة 8,000 ليرة لأجل أن تساعدهم بما نزل بهم وقالت لهم: لولا حاجتي للمال لما أخذت منكم شيئاً.

صاحب معمل لديه مئة موظف أراد السفر خارج البلاد وإغلاق المعمل لكنه تذكر الموظفين ومن ورائهم من الأسر المئة، فجمع العمال وقال لهم: منذ أن فُتح معملي وأنا آخذ الأرباح لكنني اليوم لا أريد الأرباح فاعملوا بجهد لتحققوا مردود أجرتكم.

هل تعتقدون أن مثل هذه الأفعال الذي يفعلها أحدنا تقرباً إل الله تعالى تذهب هباء؟! والله ليعوضنَّ الله تعالى لمن يفعل ذلك في دنياه وآخرته، خاصة وأن الصالحين قالوا: **الجزاء من جنس العمل، والوصف الذي تعامل به الخلق يعاملك به الحق.**

فإذا عاملت الخلق بالرحمة فإن الله سيرحمك وإن عاملتهم بالشدة فإن الله سيشدد عليك

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: «**اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ**» [مسلم].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**» [مسلم].

عَنْ هِشَامِ بْنِ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ أَنَّه مَرَّ عَلَى أُنَاسٍ مِنَ الْأَنْبَاطِ بِالشَّامِ، قَدْ أُقِيمُوا فِي الشَّمْسِ، فَقَالَ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالُوا: حُبِسُوا فِي الْجِزْيَةِ، فَقَالَ هِشَامٌ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا» [مسلم].

عَنْ عَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ كَانَ مُعْتَكِفًا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَا فُلَانُ أَرَاكَ كَئِيبًا حَزِينًا، قَالَ: نَعَمْ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِفُلَانٍ عَلَيَّ حَقٌّ، لَا وَحُرْمَةِ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ مَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَفَلَا أُكَلِّمُهُ فِيكَ، قَالَ: إِنْ أَحْبَبْتَ، قَالَ: فَانْتَقَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ ثُمَّ خَرَجَ مِنَ

الْمَسْجِدِ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَنَسِيتُ مَا كُنْتَ فِيهِ قَالَ: لَا وَلَكِنِّي سَمِعْتُ صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْعَهْدُ بِهِ قَرِيبٌ فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، وَهُوَ يَقُولُ: «مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ وَبَلَغَ فِيهَا كَانَ خَيْرًا مِن اعْتِكَافِ عَشْرِ سِنِينَ، وَمَنِ اعْتَكَفَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ تَعَالَى جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ ثَلَاثَ خَنَادِقَ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ» [البيهقي].

قد تعين أخاك بمبلغ مالي، أو بوجبة طعام، أو بإسكانه في دارك، أو بكلمة طيبة، أو بسيرك في حاجته، أو بإخبار الناس عن وضعه، أو بجاهتك، أو بشفاعتك أو بمؤازرتك....

قال أحد الأدباء: إذا أحس النمل بالخطر حمل على أكتافه الصغار والمرضى والعجزة وما يدخره من قوت، وإذا عجزت نملة عن المسير حملتها أخرى على ظهرها، وإذا أصيبت نملة بمكروه أسرعت الأخرى لمساعدتها، ويتعاون الجميع في إعداد البيت، وحفظ الطعام في جلد وصبر ومثابرة.

قالوا من قبل: **قوم تعاونوا ما غلبوا**.

لولا التعاون بين الناس ما شرفت نفس، ولا ازدهرت أرض بعمران.

فالتعاون رحمة من الله وهو مخازن الأخلاق يجعل الصعب سهلاً، والعسير يسيراً، ويلم الشمل، ويوحد الصفوف، ويسد الثغور التي يتسلل من خلالها البعض واليأس.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**» [البخاري ومسلم].

يا أيها الإخوة في هذه الأزمة وخارجها مهما استطعت أن تعين الخلق تقرباً إلى الحق فافعل فإن الله عز وجل يعجل للعباد بالفرج ما تعاونا وتراحمنا.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.